تطور النثر العربي في دولة غانا الحديثة
(دراسة في مؤلفات العلماء التقليديين)

د. عباس عمر محمد
جامعة غانا، ليغون، أكرا، غانا
aumohammed@ug.edu.gh

(مُلَخَّصُ البَحث)

قد عرف علماء غانا فن النثر وأتقنوا قراءته وأحسنوا كتابته قديمة وحديثه. ثم جرت أقلامهم على تأليف ما سمحت لهم قدراتهم التأليفية أو اقتضت عليها ظروفهم الثقافية في بيئة أفريقية إسلامية، وساروا على ما وجدوا عليه آباءهم وظلّوا على آثارهم مهتدون، فتبادلوا الرسائل فكتبوها باللغة العربية، كما كتبوا في التاريخ عن أمورهم السياسية وشؤونهم الإدارية، إلا أن كتاباتهم عن شؤونهم الدينية والإجتماعية أوسع، عالجوا فيها مسائل فقهية، وخلافات عقائدية مستعملا ما توفرت لديهم من الألفاظ والأساليب اللغوية والفنية. تهدف هذا البحث إلى إبراز مراحل تطور فن النثر عبر تاريخ دولة غانا ورصد وضعها وواقعها واستقصاء مؤلفات العلماء ومجالاتها وموضوعاتها، ثم إبراز ما تكمنه مؤلفاتهم من الخصائص الثقافية والفنية، وذِكر جوانب من إسهاماتهم في التراث العربي الإفريقي، وذلك من خلال الاستعانة بالمنهج التاريخي لاستقراء الحقائق التاريخية لإبراز خصائص مؤلفاتهم واظهار مواطن الكمال والنقص.

الكلمات المفتاحية: فن النثر، علماء غانا، التأليف العربي، الإسلام، غرب أفريقيا.

مقدمة

يعد النثر من أنواع الأدب الأكثر ازدهارا في دول غرب أفريقيا بكل فنونه القديمة والحديثة (أونيريتي، ٢٠٠٩م، ص ١٤١ – ١٥٨). وقد عرف علماء المنطقة هذا الفن وأتقنوه وأحسنوا صنعه مثل الخطابة والحكم والأمثال والرسائل وغيرها. ولم يُمنع علماء غانا كذلك من مسايرة ركب التطور لهذا النوع من الأدب بل جرت أقلامهم على تأليف ما سمحت لهم به قدراتهم التأليفية أو اقتضت عليها ظروفهم الثقافية في بيئة أفريقية إسلامية، وساروا على ما وجدوا عليه آباءهم وظلّوا على آثارهم مهتدون، فتواصلوا فيما بينهم من خلال تبادل الرسائل التي كتبوها باللغة العربية، كما كتبوا في التاريخ عن أمور سياسية وشؤون إدارية، وفي الدين كتبوا عن بعض جوانب شؤونهم الدينية والإجتماعية، عالجوا فيها المسائل الفقهية،

والخلافات العقائدية، وذكروا فيها امتيازاتهم الدينية والمذهبية، ومآخذ خصمهم وردّوا عليهم بكل ما توافر لديهم من ألفاظ وأساليب جدلية. وفي الآونة الأخيرة، زاد الأئمة منهم الخطب المنبرية على كتاباتهم النثرية، كما أضاف الطلاب والأساتذة في مؤسسات الدراسات العليا الأوراق البحثية والمقالات العلمية التي تُقدَم للنشر في الدوريات والمجلات[١]، وكذلك التي تلقى في الملتقيات والندوات العلمية، فضلا عما ينتجه خريجو الجامعات والمعاهد العلمية من البحوث العلمية والرسائل الجامعية القيمة[٢].

ومع هذه الانجازات التأليفية لم يعن هؤلاء الكتّاب بصفة عامة بكتابة هذا النوع من الأدب بقدر عنايتهم بقرض الشعر بكل فنونه وأغراضه وخصائصه الفنية الجمالية. فإن نظرة متأنية إلى ما أنتجه هؤلاء العلماء من كتب، توضح أنهم كانوا يكتبون في مجالات تقليدية ضيقة مثل الخطب المنبرية، والمكتوبات التعليمية، والرسائل الإخوانية والديوانية. وقد بذل الكتّاب الغانيون قدرا يسيرا من جهودهم في التفنن بالنثر، وحتى هذا القدر لم يشمل كل جوانب هذا الضرب من الأدب، لأنهم أهملوا نوعه الفني الحديث بأكمله، مثل القصص والروايات والمسرحيات، وهي تلك الفنون المطورة التي يظهر فيها الأديب في العصر الحديث فصاحته التعبيرية ومهاراته الأدبية وأساليبه الفنية، وما يحويه الأدب الحديث من المكونات مثل الشخصيات الرئيسية والثانوية، والحبكة ووجهة النظر والفكرة الرئيسة والعرض والأحداث الحاسمة والصراع والذروة وحل العقدة، وغيرها من المصطلحات الأدبية الحديثة.

وسأحاول في هذه الورقة أن أستقصي القدرات التأليفية في فن النثر لدى علماء غانا وإبراز ما تضمنته مؤلفاتهم من خصائص لغوية وفنية. وهو مجال لم يتطرق إليه الباحثون من أبناء المنطقة أو غيرهم. . ولعل هذا البحث بمثابة نقطة التحول لاهتمام النقاد والدارسين إلى هذا التراث العربي الضخم، كما يمثل بحثي هذا تقديرنا لمجهودات علماء غانا العلمية والفكرية، لغرض إفادة الأجيال الحاضرة واللاحقة من عبقريتهم الواسعة والشاملة.

ومن خلال قراءاتنا لمؤلفات العلماء الغانيين أدركنا أن نتاجاتهم التأليفية قد مرت بأربع مراحل، وهي تطابق تصنيفنا للعلماء وفق معيار زمني[٣]، وهذه المراحل هي:

- المرحلة الأولى: وتمتد ما بين الحقبة من(١٦٠٠م – ١٧٠٠م)
- والمرحلة الثانية : وتشمل الحقبة من (١٧٠٠م – ١٨٠٠م)

- والمرحلة الثالثة وتشمل اعوام من (١٨٠٠م – ١٩٠٠م)
- والمرحلة الرابعة وتمتد مابين (١٩٠٠م – ٢٠٠٠م)

المرحلة الأولى (١٦٠٠م – ١٧٠٠م)

والمرحلة الأولى هي التي وصل فيها العلماء الوافدون الأوائل إلى غانا من مالي مع وصول الإسلام وبداية التأليف باللغة العربية، وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي. وإن مؤلفات هذا العصر من النوع التاريخي في شكل وثائق التدوين، يسجل فيها الحوادث التاريخية من خلال استنباط الحقائق التاريخية عن دول غرب أفريقيا وتاريخ ملوكها ومجتمعاتها والقبائل التي تقطنها. وهذه المؤلفات مبعثرة وبعضها مفقودة من مكتبات علماء البلد، إلا أن بعضا منها بقي في قصور الملوك، وبعض المؤسسات المحلية إذ يحرصون عليها حرصا بالغا وبدرجة تكاد تضفى عليها نوعا من القداسة. ومن أشهر علماء هذه المرحلة الشيخ سليمان بغياغو الذي عاش بقرية سباري في منطقة دغمبا الشرقية في القرن السابع عشر (فغوسين، ١٩٧٢م، ٥٥ – ٧٣).، وأبو بكر كُناتي الذي كان على الأغلب الأعم قد عاصره إلا أنه عاش في قرية "فلي" بمنطقة "والا"، وكذلك الشيخ عبد الله ابن الحاج محمد الوتراوي، والشيخ عبد القادر سنقاري وإبراهيم بن يوسف وإبراهيم بن أبي الحسن، من بلدة غونا التي تقع علي الحدود الغربية لمدينة وا (ويلكس، ١٩٦٣، ص ٤٠٩ – ٤١٧ (٤)٢).

وللأسف لم نعثر على نسخ من مؤلفاتهم، ولا سيما تلك التي كانت من التأليف المحلي. إلا إن المصادر التاريخية التي وصلتنا المنطقة تشير إلى أنه بعد غزو إشانتي لأحياء داغمبا عام ١٧٤٤–٥م ، لاحظ أحد العمال الدنماركية في كريستينزبورغ بأكرا، وقال: "لقد تلقينا كتبا عربية في أكرا كانت مما نهبها أشانتيون من المسلمين (ويلكس، ١٩٦٣، ص ٤١٢). ومهما يكن من أمر، تشير بعض الدراسات إلى أن أغلب مؤلفات هذه الحقبة كانت مجرد تعريفات فقهية أو تلخيصات لأمهات كتب الفقه والنحو المشهورة (هودجكين، ١٩٦٦م، ص ٤٤٧).

المرحلة الثانية (١٧٠٠م – ١٨٠٠م):

تعد هذه الحقبة بداية الانتقال الثقافي من علماء وانغرا إلى العلماء المحليين، وذلك في القرن الثامن عشر. وكانت مؤلفات هذه الحقبة من النوع التاريخي الذي نال ما تستحقه من العناية لما استلهموه من مؤلفاتهم النثرية عند علمائهم الوافدين من مالي، مثل: تاريخ المجتمعات والقبائل المحلية، إذ اشتملت تلك المؤلفات على ذكر لمختلف جوانب حياتهم السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية. وكان

عددها بالعشرات وقد أودعت في المكتبات العامة والخاصة فضلا عن المتاحف الوطنية. ويرجع سبب هذا الاهتمام إلى أمرين:

أولهما: إن الفريق الأروبي الذي قام بجمع المخطوطات العربية اهتم بالمؤلفات التي سجلت تاريخ المجتمعات الأفريقية والقبائل المحلية، الهدف الاساس من جمعها، فشجعوا العلماء على ذلك ودفعوهم إلى الإكثار في كتابة التواريخ المحلية.

وثانيهما: إنها تشير الى مدى تأثر أصحاب هذه المخطوطات بعلماء تنبكتو الذين اشتهرت مؤلفاتهم في هذا المجال في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

ومن أبرز العلماء المحليين الذين نشطوا في هذه الحقبة الشيخ الحاج محمد بن مصطفى[٤]، صاحب (كتاب غُنجا)[٥]، والشيخ محمود بن عبد الله مؤلف كتاب (قصة سلاغ وتاريخ غُنجا)[٦]. وقد تم جمع الكتاب الأول في العام ١٧٥٢م، وكان صاحبه الشيخ الحاج محمد بن مصطفى من مواليد إحدى قرى المنطقة الشمالية. ويضم الكتاب حكاية عن الأحداث والمواقف في تاريخ قبيلة غُنجا وملوكها، والأسباب التي دعت زعماءهم للدخول في الإسلام في أواخر القرن السادس عشر، ووصف الكاتب أحوالهم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والعسكرية. وأما الكتاب الثاني الذي كان مؤلفه أميرا لقرية لنفا يحتوي على اثنين وعشرين صفحة، وكان من جزءين، ويضم الجزء الأول رواية رجل يسمى (غربا)، أحد رجال غُنجا، وهو شقيق لإمام حارة لنفا، يسرد فيها سلسلة من الأحداث التي أدت إلى تأسيس مملكة غُنجا، وسياسة ملك جاكبا الذي حكم الدولة في القرن السابع عشر، وسعى إلى توحيد كل إماراته المتناثرة وبسط حكمه عليها. ولما تقدم في العمر، وزع أراضي مملكته على أبنائه. ويحكي الراوي عن مقاومة ملك جاكبا وجنوده لتغلغل المستعمر البريطاني، كما ناضل ضد سيطرة أشانتي على مملكته. وتناول الجزء الثاني من الوثيقة وصف مدينة سلاغا بأنها مدينة تجارية عظيمة، وذكر اعتناق أهاليها للإسلام، ورقيهم في شتى مجالات الحياة.

ومما تميزت به كتابات تلك المرحلة: بساطة الاسلوب في تنظيم هيكلية النص مثل الذي وجدناه في كتاب "قصة سَلاغَ، تاريخ غُنجا"، والذي استهله الكاتب بعد البسملة بذكر عنوان الكتاب واسم الشخص الذي نقل عنه تاريخ قبيلة غُنجا، ويدعى(غربا) وقد وصفه الكاتب بأنه: 'شيخ كبير وهو أعرج سائل[٧]'، ثم قال: 'والحال أن غُنجاو إن سألتهم عن قصصهم لا يخبروك وأما الذي قال لي غرب أخبركم به'. ثم أخذ يسرد من الحكايات التي املاها عليه غربا باللغة المحلية وهو يترجمها إلى العربية قدر المستطاع، مسجلا غزواتهم والفتوحات التي خاضها

جيوش دولة غُنجا بقيادة أميرهم 'جاكبا'، واستيلاءه على أراضي المناطق الشمالية إلى أن انتهت به إلى البحر المحيط'[٨].

ومن خصائصها اللغوية أن التركيبات لنصوصها تتمتع بسلامة التكوين النحوي، وهي بسيطة التراكيب وسهلة الألفاظ. ومع أن الكاتب استطاع أن يبين معانياها المعقولة والمتقبلة لدى القاري، إلا إنها تتصف بضعف أسلوب السرد وركاكة اللغة. والسبب في ذلك أن الثقافة الإسلامية والعربية لم يكن لها حضورا مؤثرا خلال هذه الحقبة، فنجد ألفاظها بسيطة المدلولات، وتنقص المؤلف مهارة التعبير اذ يخلو سرده من الفصاحة والبلاغة، وخاصية الصيغ العربية الأصيلة، إذ تغلب عليها الصيغة الأعجمية، لا في ألفاظها وكلماتها، بل في طريقة تأليف الجمل وتركيبها وصياغتها. فالظاهر أن الكاتب من طلاب المرحلة البدائية في تطور تعلم اللغة العربية، لذا كان اسلوبه متأثرا الى حد كبير بلغته الأم التي ترجمت القصة منها، وهي اللغة المحلية، دون مراعاة ضبط تركيب الكلمات في الجملة تركيباً يضمن التوالي المناسب لمفردات أو ألفاظ الجملة، فتكاد تكون ترجمته حرفية، نحو قوله:

'..... وأيضا (جاكبا) قام إلى القتال حتى وصل إلى موضع آخر قال أسكن هنا وبنى بيتا كبيرا يصعد فوق الأخرى يقال لها (بتى) ومعناه بيت السلطان موجود إلى الآن وسماها هوساو (غرنبس) ومعناه بلد الفوق...'[٩]

هنا يبدو واضحا أن عبارة "....(جاكبا) قام إلى القتال" مترجمة من اللغة المحلية، بينما في اللغة العربية من المتبع القول: "....(جاكبا) قام بالقتال". أو بالإمكان صياغة العبارة بشكل أكثر قبولا وملاءمة لقواعد اللغة العربية، كأن يبدل كلمة "قام" بـ"خرج"، فيقول مثلا:".... خرج (جاكبا) للقتال ."

فعبارة "....حتى وصل إلى موضع آخر" تبدو بوضوح مترجمة عن لغة هوسا، بصورة حرفية مع إبقاء ترتيب العبارة الأصلية: "....موضع آخر"، فأراد بها "موضع ما".

ومن بين التراكيب اللغوية التي ظهرت متأثّرة باللغة المحلية، حيث يقول الكاتب:".... بنى بيتا كبيرا يصعد فوق الأخرى"، يريد بها "....بنى بيتا كبيرا متعدد الطوابق"، وكذلك العبارة: (زمان الأول) في الجملة: '.... وأما الآن من رآه(ا) يعلم أنه بلد كبير زمان الأول'، وهو يريد بها (في القدم) أو (الزمن القديم).

فهذه الركاكة في التعبير لم تقتصر على نوع محدد من التركيب اللغوي وإنما تجلت في كافة أنواع الجمل، وحتى عند اختياره للألفاظ، فنلاحظ أن ملكته للقاموس

اللغوي محدودة، فلم يحسن اختيار الألفاظ والكلمات الفصيحة، مثلا، كلمة "خفض" في الجملة: '.....والآن خفض ذكر ذلك البلد لقلة أهلها...'، لعله أراد أن يقول: (قل ذكر ذلك البلد لقلة أهله). ومن الأخطاء النحوية رفع المفعول به في الجملة: '....ولعل الله يعطينا أمر كبير فيها'، والصواب هو: (ولعل الله يعطينا أمرا كبيرا فيها).

المرحلة الثالثة (١٨٠٠م – ١٩٠٠م)

وقد سجلت هذه الحقبة وصول الدفعة الثانية من العلماء الوافدين من نيجيريا والنيجر، وذلك من القرن التاسع عشر، فبرزت في هذه الحقبة أعمال المبدعين المشهورين المبتكرين، مثل الشيخ عمر بن أبي بكر كركي(١٩٣٤م – ١٨٥٠م)[١٠]، والشيخ الحاج محمد بن فودي السفتي المشهور بمرحبا (١٨٩٦م – ١٩٨١م)[١١]، وهما من بين الكتاب المميزين المرموقين في العلوم الدينية والعربية. ولعل نظرة متأملة الى النتاجات النثرية لعلماء هذه الحقبة تبين مدى تقدم مستوى تعليميهم وضلوعهم باللغة العربية والعلوم الشرعية، ولعل سبب في ذلك يرجع إلى التزامهم بالمنهج التعليمي المتقدم في نيجيريا والنيجر اذ ينماز هذا المنهج بالتعمق والإتقان للمواد اللغوية والأدبية في كل علومها وفنونها.

تناولت مؤلفات هذه الحقبة العديد من الموضوعات في شتى مجالات الحياة الدينية والاجتماعية والتعليمية.

وقد عكف الشيخ مرحبا على الكتابة في المواد التعليمية ولاسيما النحو وشروحه، ولم يتوافر لدينا من مؤلفاته إلا مخطوطات غير مطبوعة، إذ لم يتوافر فيها ما يجدر الاهتمام به في هذا البحث[١٢]. أما الموضوعات التي عالجها الحاج عمر كركي في كتاباته كثيرة ومتنوعة. وإن عناية الحاج عمر وشغفه بالشؤون الاجتماعية السائدة في عصره دفع به إلى معالجة قضايا عائلية ولاسيما فيما يتعلق منها بالعلاقات الزوجية، كما اهتم كذلك بالتجارة، لأهميتها في حياتهم الإقتصادية آنذاك. وأبرز أعماله النثرية واشهرها كتاب تعليمي للانشاء عنوانه" السرحة الوريقة في علم الوثيقة" الفه عام ١٨٧٧م وقد ذكر فيه انواع وأساليب الرسائل وضم مجموعة من نماذج الرسائل مع التوجيهات للكتّاب باللغة العربية، ونشر هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٤٨م.

وأحسن ما يمكن أن نستشهد به في هذا الشأن إنموذج من رسالة وجهها إلى رجل غني أو ربما لشخص ذي رتبة عالية طالبا منه العون، وقد ورد فيها:

بعد البسملة والصلصلة: الحمد لله الذي قسم الأرزاق بين عباده قسما أزليا،

وفضل بعضهم على بعض في الرزق حكما أبديا، فمن فلان إلى فلان رضا وإكرام، زادك الله رزقا ووسع الله أموالك، بارك الله فيما وجدت، عافاك الله من الآفات أنت وأهليك وشيعتك من ولد وعبد وكل متعلق بك من رجل وامرأة، أما بعد، فإني أسألك كذا وكذا لله وللرسول، وما أنفقتم من شيء وهو يخلفه، انتهى (كركي، ١٩٤٨م، ص٢٠٠) .

وإذا كان الكاتب يطلب من المرسل إليه دينا خط الشيخ الرسالة الآتية:

..... أما بعد فإني أطلب أن تكشف لي كربي بأن تعطيني كذا وكذا سلفا أو دينا، وإذا قضيت حاجتي فإني إن شاء الله تعالى أرده إليك سرعة سرعة في وقت كذا أو شهر كذا كما قبضته، لأنك فرحتني أول مرة وسأتم بوعدي، وإذا قلتم فاعدلوا، انتهى (كركي، ص٢٠٠-٢٠١) .

ويظهر لكل قارئ متأن في قراءته لنصوص علماء غانا، ولاسيما الوافدين منهم، أنها لا تعتمد على زينة التراكيب وزخارف الصيغ والمبالغات التعبيرية، بل تعتمد على المعاني ودقتها، وصحة العبارة، ووضوح الجمل، وسلامة الحجج وإجراءها على حكم المنطق الصحيح، فتشير إلى قدرة الكاتب في تجسيم كلّ ما أراد تصويره، إذ تمتاز تراكيب جمله بالقصر، بعيدا عن الإطناب، إذ مال اسلوب الكاتب الى التكثيف والايجاز في التعبير عن المعنى الواحد متجنبا بذلك الاطالة او الحشو، تحقيقا لهدفه في معالجة الأمر الواقع عن طريق الابلاغ والاخبار.

وقد استعمل الشيخ عمر كركي الاساليب اللغوية في مقدمات رسائله، ولاسيما تلك التي يطلب من المرسل إليه العون والمساعدة، وغالبا ما تكون المقدمة في صورة الدعاء، كما ورد في الرسالة الأولى أعلاه، استعمل هذا الاسلوب تحقيقا للتشويق من خلال البداية اللافتة والجاذبة للقارئ مما يولد تأثيرا نفسيا عاليا وتحريكا للمشاعر. ونلاحظ أن الشيخ عمر يحرص على أن يقتصر هذا الأسلوب على مقدمات رسائله اذ يتعمد عليه، ويميل أحيانا إلى الأخذ بالأساليب البلاغية دون إسراف في ذلك ، وإن كان اسلوب البديع قد غلب على بعض من نصوصه على الرغم من محاولته عدم الاكثار منه مثل قوله: ".....قد يبعث صغير الأمر عظيم الأمر"، ".....من..... إلى حبيبه وأمينه وصفيه وخليله.."، "..... أعانك الله على أعدائك، ثبت الله دولتك، كتب الله من عاداك، طوّل الله عمرك، أيّد الله عسكرك، أصلح الله كورتك، غزر الله مياهها وأثمر أشجارها، وبارك في مواشيها وزروعها، وطيب الله أقواتها من غداء وعشاء، وجعل الله حسبها ذات نعمة ونماء"..... "إن أخانا قد سبقنا إلى دار القرار وتركنا في دار الغرور". فأسلوبه

هنا يطغى عليه السجع و يبدو فيه الالتزام في الموازنة بين الجمل، مما يحدث وقعا موسيقيا محببا، مستنبطا منها المحسنات البديعية كالطباق، (سبقنا وتركنا)، (القرار والغرور). وفي صلب موضوع رسائله يخفف الكاتب حرصه على العناية بالزينة اللفظية خوفا منه من إخفاء المعاني التي يريد التصريح بها مع التزامه بالصدق، غير أن شاعريته التي غلبت نثره جرته الى السير وراء طبائع الشعراء، لذلك لا يستغرب اعتماد نصوصه على هذه المحسنات البديعية التي رأى فيها روعة وفنا في موضوع جاد كالذي تتناوله الرسائل.

وقد تميزت مؤلفات هذه الحقبة بصفة عامة بالجودة العالية في التعبير مما يشي بتبحر عميق لمؤلفيها بنصوص الادب فضلا عن براعتهم في اللغة العربية وآدابها، وتثبت قدراتهم التأليفية ومهاراتهم الإبداعية. وتتميز نصوص هذا الجيل بالجمع بين السجع والترسل، والميل إلى الإيجاز، مع البعد عن المبالغة، بعيدا عن التكلف، فضلا عن خلوها من عبارات التفخيم والغموض والتعقيد، وقلة المحسنات البديعية، لأنهم يهتمون بالمعنى قبل المبنى، مما يسهل على فهمها ومنالها، إذ لا يقصدون التأثير أو الإمتاع إلا ما تضمنته كتاباتهم من بعض الأساليب اللغوية والقليل من البلاغية. ولعل هذا ما ينفرد بها بعض الشيوخ البارزين مثل الشيخ عمر كركي والشيخ مرحبا وغيرهما، حيث امتاز اسلوبهم بادقة في اختيار الالفظ المعبرة عن الاغراض التي يقصدونها، مما يدل على مقدرتهم على كتابة النصوص النثرية ذات الجودة اللغوية العالية. وإن ما يتمتعون به من سعة القاموس اللغوي تمكنهم من الإكثار من الترادف في الألفاظ، والتعاقب في المعاني وإيضاح معانيها بوسائل بيانية مختلفة. فيصبح بها كلامهم فصيحاً جزلاً بلا تكلف أو تصنع.

المرحلة الرابعة (١٩٠٠م – ٢٠٠٠م):

تعد المرحلة الرابعة حقبة الانتقال الثقافي الثاني من علماء نيجيريا إلى العلماء الغانيين التقليديين. إذ يمكننا أن نصفها بأنها حقبة الانتقال والاندماج. وأعمال هذه الحقبة هي نتاج ما ورثه الطلاب الغانيون من معارف من علمائهم النيجيريين، فأتقنوها وبرعوا فيها حتى انصهروا – كعلمائهم – في بوتقة الثقافة العربية الإسلامية تماما. وقد ساهمت مؤلفاتهم بقسط وافر في حركة التأليف على مستوى عال من الجودة، وذلك من بداية القرن العشرين إذ بدأت اللغة العربية تشهد تقدما ملحوظا مع ظهور المدارس العربية شبه النظامية، فخلف خريجوها مكتوبات علمية وأدبية هائلة شعرا ونثرا، وتعد من أجود المؤلفات العربية من ناحيتي الشكل والمضمون. وهي الحقبة التي شهدت فيها اللغة العربية ذروة ازدهارها والإقبال على

تعلمها، واشتهرت بكثرة علمائها، من أئمة المساجد والأساتذة والأدباء المشهورين، وهم من طليعة العلماء والمثقفين المرموقين المميزين لإلمامهم القوي باللغة العربية. ولا تزال تحتفل الدولة بانجازاتهم التأليفية التي تم نشرها في مطابع دول العربية والأفريقية[١٣]. ويمكن أن نعد هذه الحقبة بمثابة العصر الذهبي للتأليف العربي والنشر. ومن أبرز علماء هذا العصر الشيخ الحاج يوسف صالح ألفا أجورا[١٤]، والشيخ مالم جبريل صوفو[١٥]، والشيخ أحمد ابن أحمد الواعظ (١٩١٣م – ١٩٨٣م)[١٦]، والشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار[١٧]، وغيرهم[١٨].

وإذا أمعنّا النظر في مؤلفات هذا العصر الذي يمكن وصفه بـ"عصر الانتقال والاندماج"، نجد ان فنها النثري لا يختلف عما كان عليه في عصر الوافدين، من حيث مستوى اللغة وجودة التأليف. قد أنتج جيل هذا العصر نثراً خصباً يوازي ما أنتجه أجدادهم الوافدون، لنبوغ كتّاب فيهم ارتقوا في التأليف باللغة العربية حتى بلغوا فيها غاية في الفصاحة، وأظهر عدد منهم اهتماما بالحفاظ على اللغة الفصيحة، وتخليصها مما لحقها في الماضي من الأخطاء والتصحيف ، ولاسيما في الأزمنة الأولى لانتقال الثقافة العربية إلى الطلاب الأوائل من الأهالي. ويرجع هذا إلى أن الأوضاع التعليمية قد تغيرت وتحسنت بها الحركات العلمية والتأليفية بمرور الزمن كما أشرنا آنفا.

ويجدر بالإشارة إلى أنه على الرغم من التطور الذي شهدناه عند العلماء السلف في التأليف، ظلت الكتابات النثرية في المراحل المتعاقبة تدور في حلقة ضيقة من المجالات العلمية؛ وهي: الفقه واللغة والتاريخ، وتجري على صورها المعهودة، سواء في الأساليب والموضوعات، لأن العلماء والكتّاب مابرحوا يحتفظون بالأساليب التي تدربوا عليها وتعودوا بها من ترسل التراكيب وإيجاز العبارة وسهولة الألفاظ الخالية من التراكيب المطولة والمعقدة، واستعمال اللغة المباشرة بالأسلوب التقريري والخطابي، ويعرضون أفكارهم بوضوح حيث تتسلسل تسلسلاً منطقياً بلا تعقيد أو تشويه، ولأنهم يعالجون المسائل والقضايا العلمية والإنسانية، مما يوجب استعمال الألفاظ المحددة الدلالة أما الأسلوب يغلب عليه التصوير البياني الذي يجسد المعاني ويشخص المواقف لا للتزويق أوالصنعة.

والمجال الذي تأثر كذلك بهذا الركود في حركات التأليف هو كتابة الرسائل، ولم يتغير منها شيء مع مرور الزمن، لأنها ظلت في صورتها الموروثة، في الشكل والمضمون، لم تتغير أنواعها ولا أساليبها، بل بقيت شائعة بين جميع العلماء على عهدها السابقة، إلا ما طرأت من موضوعات جديدة كرحلة أداء فريضة الحج،

إذ كتبوا عنها بكثرة، حتى بعضهم ألف العديد من الإصدارات والدراسات والتوثيقات نثرا وشعرا عن أداء فريضة الحج لمكانها في حياة المسلمين الدينية بوصفها الركن الخامس من أركان الإسلام.

وإذا تأملنا إلى خصائص الرسائل بأنواعها الديوانية والإخوانية التي ترسلها العلماء وطلاب العلم في غانا في هذا العصر يتضح أن ترتيب عناصرها ما زال يخضع للشكل التقليدي القديم حيث تبدأ بالبسلمة والصّلاة على النبي، والسؤال عن حال المرسل إليه وأهله، سواء كانت رسالة شخصيّة أو رسمية، ويذكر سبب كتابة الرسالة، ثم الدخول إلى صلب الموضوع، والرّسالة لا بدّ أن تُختم بعبارات التحبّب والتودد، ويُكتب في داخل الرسالة اسم المرسل واسم المرسل إليه[١٩].

وفيما يلي رسالة من طالب وهو يقوم بمناسك الحج إلى أستاذه في دولة غانا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة المحترم العالم العلامة الشيخ محمد ثروم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فقد وصلنا مكة المكرمة يوم الأحد الموافق لسنة ١٣٦٧ مع الراحة التامة والسلامة ببركة دعواتكم الصالحة، وإنا لم نزل ندعو الله تعالى أمام الكعبة الشريفة وخلف المقام وعقب شرب زمزم أن يجعلكم من القادمين إلى هذه البلاد المقدسة، كما أطلب منه جل وعلا أن تكونوا من الزائرين حرم المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ويبلغكم الوقوف بعرفات لأداء المناسك ورمي الجمرات. هذا وبلغوا سلامي لكل من في حضرتكم ولا سيّما إخواننا وأصدقائنا وأزواجنا وأمهاتنا أزواجنا وآبائهن.

نرجو من فضلك ايها الشيخ أن تبلغ تحيتنا وسلامنا إلى جميع أهالينا وأمر معلم عيسى بذلك وكل هذا الأمر إليه، فأعلم بأنا لما خرجنا من كماسي عزمنا السير إلى مدينة الرسول ولذلك زرناها أولا.

ووصلت هذه الأشعار إلى المعلم عبد الله نكاكا. فعلم أن غرب (فرى) وصل مكة وهو يقرؤك

تحية وسلاما ويرجو أن تأمر عبد الله أن يكتب الرسالة إلى أخيه معلم زكرياء ويعرفه بأنه وصل مكة في يوم الجمعة بثلاثة عشر يوما من شهر الله ذي القعدة، واستغرقوا في هذا السفر الخير بين الذهاب والعودة سبعة أشهر تماما. تقبل الله لنا ولهم أعمال الخير.

آمين.

مرسل الرسالة/
محمد أول بابلي وهو كبير علي كماسي،
وهارون محمد و محمد
باقو وأحمد بابا.
انتهى (سيسي، ٢٠٠٩م، ص١٥٤-١٥٥)

وقد شهدت هذه الحقبة صنفا جديدا من المؤلفات بظهور المناظرات الدينية، وطرأ فيها تحولا فكريا وأدبيا، فغير بها وجه النثر من حيث المضمون والشكل، فتنوعت موضوعات التأليف ومناهجه، إذ لم تعد تلك الموضوعات تقليدية مقتصرة على القضايا الفقهية واللغوية، بل توسعت لتشمل مسائل حساسة في العقيدة والعبادات، مدارها الخلافات المذهبية بين أهل السنة والطريقة التجانية. وأصبح العلماء الكتّاب يتفاعلون مع مجتمعهم، ويتأثرون بما يحيط بهم. وبها بدأت تتغير أساليب الكتابة، وتبنى الكتّاب الأسلوب الخطابي الإقناعي يهدف إلى تأثير وإقناع القارئ بوجهة نظر المؤلف في مناقشته الآخرين وبيان ما يراه الصواب مع الرد على أخطائهم[٢٠].

ونلاحظ أن هذا الصنف من المؤلفات يعتمد على إيراد المعلومات والوثائق التراثية والإشارة إلى أقوال السلف والأئمة الأعلام من المتقدمين والمتأخرين وآراء الخبراء والعلماء الموسوعيين، متى يكون نقلها نقلاً موثقا، وكان الاعتماد على النصوص الدينية شديد، وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية أشد، ولاسيما عند علماء السلفية وأهل السنة، ينهجون نهجه في الأسلوب والتمثيل بآياته، يستندون إليها عند عرضهم لآرائهم وأقوالهم، فتَجِد أنَّهم يستدلُّون بآياتِ القرآن استدلالاً مستفيضًا، كما يستشهدِون بالأحاديث النبويَّة، على أساس قواعد ومنهج مشايخهم وأئمتهم المشهورين.

وهو النهج الذي انتهجه عبد الصمد حبيب الله وغيره من كتاب أهل السنة البارزين في الخمسينات للقرن العشرين.

وفي كتابه "رسالة الداعي إلى السنة الزاجرة عن البدعة"، استهل الشيخ عبد الصمد نقده لعقيدة الطريقة التجانية بالآيات القرآنية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (سورة النساء، الآية ٥٩) ، وذكر ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر، الآية ٧) . وما من قضية من القضايا أو فكرة من الأفكار التي تناولها إلا واستشهد معها بالمنقولات فضلا عن المعقولات، كآية من أيات القرآن أو حديث من الأحاديث النبوية. طبعا، وهي أقوى ما يستدل به أيُّ متحدث في المجتمعات المسلمة، وهو أعظَّم مرجع عندهم، فلا يتطرق إليه الشك لديهم. ويكفي عظمة عندهم أنه كلام الله تعالى، ولذلك لا يخطر ببال أي مسلم سليم العقل بسبب المجادلة والنقاش أو لأيّ سبب من الأسباب أن يطعن في صدق كلام الله تعالى أو يسخر منه أو يدعوه إلى عدم الإيمان به؛ لما للقرآن الكريم من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين.

فيما نلاحظ أن السمة الغالبة في كتابات علماء الصوفية، اعتمادها أقوال أهل العلم وحجج عقلية وقصص وتقول في الإستدلال والاستشهاد، وجمع بينها وبين الآيات والأحاديث في بعض الأحايين، وغالبا ما يكون موضوع الآية أو الحديث الذي يستدلون به بشأن قصة عبد من عباد الله أو أحد من الصالحين. فتطول بها إنشاءاتهم والبيان المطول. وقد يرجع هذا الأسلوب إلى اعتمادهم على المناهج الفلسفية الكلامية في الاستدلال والبيان على حساب نصوص الكتاب والسنة. ومهما يكن من أمر فإن مدار تأليفهم لم يخرج عن نطاق جمع نظريات علماء هذه التيارات الفلسفية وترتيب أقوالهم لتوافق المسألة التي يجري الحديث بشأنه. وقد أقر هذا المسلك الشيخ جبريل مالم صوفو في كتابه المشهور "عمدة الإسلام وبستان العلماء والعارفين في تحسين الظن بالله"[٢١]، ويقول في التمهيد:

إعلم أيها الأخ المحب لاولياء الله أن الباحث على جمع هذا الكتاب المفيد للمريدين المخلصين هو طلب لبعض الاصدقاء الذين جاءوا إلي يخرضونني لجمع الكتاب الذي يكون مؤيدا ومحببا للأخوان في كريقة القوم لما رأوا من كثرة الطعن والإنكار على أولياء الله أهل الطرق في زمننا هذا، ولا سيما طريقتنا طريقة الشيخ أحمد بن محمد التجاني، سقانا الله من بحر بركته، فاعتذرت إليهم واستقلت من هذا الطلب لقلة بضاعتي التي لم تزل مزجاة، إلا أن أجد من يتصدق علي فإن الله يجزي متصدقين. قذاكرتهم بالقول الذي قيل قبلي: وهو – لا يزال المرء في فسحة من أمره ما لم يقل شهرا أو يؤلف كتابا، من ألف كتابا أمل قال شعرا، فإنما يعرض على الناس عقله، فإن أصاب فقد استهدف، وإن أخطأ فقد استقذف. ولما لم يسعفوا من ذلك الطلب لبيت طلبهم، واستخرت الله في ذلك معتمدا عليه تعالى، وجمعت كتب

سادتنا التي أورثوناها، لأني لست اهلا للتأليف ولا للتصنيف، ولخصنا لهم من الكتب الثقات... (صوفو، ١٩٨١، ص٨)

وعلى هذا المنوال سار الشيخ الواعظ في جميع أعماله، "موسوعة أحمد بابا الواعظ" – جمع وترتيب الأقوال – إذ جعل أغلبها اقتباسا من كلام العلماء، مع ذكر قائل الكلام المقتبس والمصدر المقتبس منه. وفي موضوع الاستغاثة والتوسل نقل من الكتاب "الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم، لابن حجر الهيتمي المكي، وفي حديثه تحت عنوان 'الشفاء والزيارة'، ذكر ما جاء في الكتاب "شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد" لمحمد علوي مالكي.

وعلى الرغم من هذا التباين في اساليبهم إلا أنهم ابرزوا قدرة في جمع نصوص الأدلة، وحسن إختيارها وعرضها في كتاباتهم، بل وأظهروا براعتهم في الاستدلال بها، وانتزاع ما يفيد أغراضهم منها، وذلك من بين الكميات الضحمة من الكتب والمؤلفات. إن هذه الظاهرة تدل على مهارتهم في استنباط النصوص إذ يضعون النصوص في مواضعها، والتعامل معها، بفضل ما تمتعوا بها من القوة العلمية واستحضار النصوص. ولا يتأتى ذلك إلا لمن له معرفة طريقة التأليف والتصنيف، وطريقة عرض الموضوعات، وإيرد القريب منها بدلا من بعيدها.

ومما تميز به كتّاب أهل السنة في هذا المضمار أنهم لا يوردون الطويل من الآيات فيطول الحديث بها، أو القليلة التي قد تؤدي إلى قِصَر مخلٍّ. وهذا ما شهدناه في كتابات الشيخ عبد الصمد إذ أنه يختار الآيات القصيرة التي تكفي للاستدلال وتتناسب مع موضوع النقاش، ثم يدعمها بالأحاديث والآثار ذات الصلة، إلا أنه يكثر في ذكر الآيات بأسلوب تكاد تطغى على إنشائه وبيانه وبلاغته.

ومثال ذلك حديثه حول العبودية لله، ويقول:

'....فأكابر أولياء الله الذين هم أنبياء ورسل الله، كلهم عبيد لله، ومقام العبودية أشرف المقامات، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢٢] سورة الإسراء، الآية١. وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ سورة الكهف، الآية١. وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ سورة الفرقان، الآية١. وقال تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[٢٣] سورة ص، الآية ٤٤. وقال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٢٤] سورة الفرقان، الآية ٦٣. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[٢٥] سورة الحجر، الآية ٤٢. فاختار الله لهم العبودية دون سائر المقامات، هذا، وقد ختمت النبوة والرسالة بمحمد ﷺ،

فليس لأحد يومن بالله واليوم الآخر أن يدعيه، كما انقطعت الرسالة السماوية انقطاعا كليا بموته عليه الصلاة السلام، وبقيت الالهامات والواردات والكشوفات والمنامات، فما وافق منها السرح وصحيح، وما خالف منها الشرح فباطل.... (عبد الصمد، ١٩٧٨م، ص ٦ – ٧)

وتبرز في كتاباتهم بوضوح ميلهم جميعا إلى استعمال الأساليب اللغوية المتنوعة للتأثير، كالنداء والاستفهام والتوكيد وضمير المخاطب وأفعال الأمر وأدوات النفي، وذلك للرد على الاعتراضات عند المعارضيهم، لكن الغالب من هذه الأساليب في كتبهم فعل الأمر وضمير المخاطب والنداء، وقد تساوي كلا الطرفين في توظيفها، إلا أن التجانية أوظفوها بشكل أوسع للتقريب والتعرف والإخاء: (إعلم أيها الأخ المحب لأهل الله.....) (إعلم أيها المحب الذي وفقه الله ....) (أيها الإخوان هدانا الله بنور الإيمان.....) وهكذا.

وهكذا نرى اهتمامهم بشرح أرائهم ياستخدام قواعد اللغة العربية في بعض الأحيان، وهاك الشيخ عبد الصمد يشرح الآية التي تأمر بالحكم بما أنزل الله، ويقوا:

.....أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق، وأن الأيات الثلاث التي تبدأ بـ(ومن لم يحكم بما أنزل الله.....)، قد جاء التعبير فيها بلفظ (من) ومن، من صيغ العموم، فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معين، بل بكل من ولي الحكم، فالألفاظ الثلاثة (الكفر والظلم والفسق) التي سجلها الله على الحاكمين بغير ما أنزل الله محمول على إطلاقها، فلا يسمى الله الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كذلك (عبد الصمد، ص ٦١)

ويكثر هذا الأسلوب عند علماء التجانية إذ يلجاوؤن اليه عند تفسيرهم لأية من آيات القرآن، يقول الشيخ الواعظ في تفسير سورة المائدة الآية ٣، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.... يعني أحكامه وفرائضه، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام،. ..وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، أي بإكماله أو بدخول مكة آمنين... وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا، أي اخترت لكم، والواو في.. رَضِيتُلَكُمُ، مستانفة لبيان الحال، وليست معطوفة على 'أكملت'، لأنه يقتضي أنه لك يرض الإسلام دينا إلا اليوم، ولم

يرضه قبل ذلك، وليس كذلك لأن الإسلام لم ينزل مرضيا لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله (بابا الواعظ، ٢٠٠٩م، ص٤٣)

فيظهر للدارس جميع الأساليب اللغوية التي ذكرناه أعلاه في نص الشيخ عبد الصمد، وهو يتحدث عن القضية التي تتجاذب لها القلوب والنفوس بين المسلمين في غانا بل في العالم الإسلامي الأجمع، وهي مكانة صلاة الفاتح، فيقول:

فانظر أيها الأخ إلى من ذكرهم الله ووعد بالجنة، وإلى من وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم بنيل دار الكرام، لقد مضى على ملايين من المسلمين قرون عديدة وليس لصلاة الفاتح ذكر ولا أثر، وفيهم من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، وغيرهم من أهل الفضل والخير والصلاح، فكيف يجترئ إنسان، ويقول: أعمار هؤلاء كلها ذهبت مجانا، نعوذ بالله من ذلك (عبد الصمد، ١٩٧٨م، ص ٢٦)

ويتضح من صيغ هذا النص وسمات كلماتها أنها تتميز بالتأنق اللفظي، وجمال التعبير. وهذا ما تتصف بها نصوص علماء أهل السنة عامة، والشيخ عبد الصمد خاصة، إذ يتميز أسلوبه بقوة الصياغة تغلب في نصوصه العاطفة على المنطق، وذلك باستهداف إثارة عاطفة القراء أكثر من إقناع إعمال العقل والمنطق وهو العكس عند كتاب طريقة التجانية.

وكما ذكرنا آنفا عن أسلوب النصوص العلمية أو التعليمية الذي يتسم بوضوح المعنى والمغزى، وإبتعادها عن الغموض، واعتماد ألفاظها الحقائق، وتجنب الغريب، والبعد عن الألفاظ المجازية والمحسنات الكلامية. لكننا نلاحظ أنه يظهر في إنشاء علماء "عصر انتقال والاتدماج" شيئاً من فن التعبير في عرضهم للمسائل الدينية ولاسيما التي كانت محل نزاع وتجاذب، لعلهم تعمدوا التفنن باستعمال أسلوب التشويق باختيار الألفاظ البراقة الجذابة الذي يشد ويجذب القراء ويغريهم إلى أفكارهم وآرائهم،. إلا أنه بإمعان النظر نلاحظ أن هدفهم الرئيس هو الإقناع، وهذا يطغى على محاولاتهم في التفنن والجماليات فتذوب هذه الفنيات في جدية النقاش والمناظرة. ومهما كان من الأمر، لعل هذا ما جعل الشيخ عبد الصمد أن يلجأ إلى الإكثار في الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي حشدها في كتابه ليعتمد على جماليات الأسلوب القرآنية، لكي يمتع بها قراء نصوصه، وذلك ليخفف من جفاف هذا الموضوع العلمي.

المرحلة الخامسة (٢٠٠٠م – إلى اليوم)

عصر التعليم العربي الحديث المتطور وما نتجت عنه من مساهمات العلماء الغانيين المحدثين، وهي تمثل ثمرة من ثمرات اقتفاء آثار منهج التعليم التقليدي

القديم مع الاتصال بمنهج التعليم الخارجي الحديث. ويمثل مؤلفوا كتب هذا العصر جيل اليوم الذين بلغوا شأن أجدادهم الوافدين من مختلف دول غرب أفريقيا، كنيجيريا ومالي و نيجير وتوغو وبنين وبوركينا فاسو، فبلغ التأليف العربي في هذه الحقبة قمته كمًا وكيفًا بفضل ما توافر للعلماء والطلاب من المؤسسات العلمية الحديثة والمناهج التعليمية الفعالة والمواد الدراسية الحديثة والمنح الدراسية من الدول العربية، فنتج عن هذه التطورات البحوث العلمية الجامعية بمراحلها ومستوياتها المختلفة، التي تضم الرسائل الجامعية والمقالات والدراسات التي تنشر في مجالات ودوريات علمية. وهذا الجانب من المؤلفات خارج نطاق هذا البحث.

اقتباسات من النصوص التراثية القديمة

وكما تضمنت كتابات علماء غانا بصفة عامة عددا من الآيات القرآنية والأحاديث، فقد كثر فيها ألفاظ ومعاني ذات دلالات دينية وتراثية مقتبسة من التراث الديني. فمثلا في رسائل التعزية التي ألفها الشيخ عمر كركي، يقول: '..... سمعت أن أخانا فلان قد سبقنا إلى دار القرار... (كركي، ١٩٤٨م، ص٢٠١)، وفي أخرى: '....ناداها ربها دار الجزاء...' (كركي، ص٢٠٥) ، أي توفاها الله.

وفي رسالة امرأة لزوجها تشكو وتعلن قرارها على الفسخ وتقول: وقد فسخ نكاحك لأنك فعلت بي ما لا يليق من الإضرار والنشوز...' (كركي، ص٢٠٣)، وتقول امرأة أخرى حين سافر زوجها مدة طويلة: '..... فلم تركتني سدى ولم ترسل إلي من نفقة.....' (كركي، ص٢٠٣) ، اقتباسا من ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ سورة القيامة، آية ٣٦.

وافضل مثال على ذلك وثيقة العتق من نماذج رسائل الشيخ عمر كركي والتي ورد فيها قوله:

الحمد لله الذي جعل بعض الناس أحرارا وبعضهم عبيدا وأرقاء وأسارى، والصلاة والسلام على المبعوث بشرائع الإسلام محمد بن عبدالله رسول رب الأنام، أما بعد، فإن عالم الغيب والشهادة هو الذي أمر بإقامة الشهادة بالقسط وجعل الرسائل من أقوى الشهادة، وهذه رقعة الشهادة فيما بين فلان وعبده خوف التبديل في طول الدهور، اشهدوا أيها الناس بعد شهادة الله ورسوله أن فلانا قد أعتق عبده فلانا وتسميه هنا باسم الرق، وقد بدل اسمه اليوم وصار هكذا أسألكم الله أن لا يدعوه أحد باسمه الأول، بل ادعوه بهذا الاسم أي اسم الحرية إلا نسيانا وخطأ لأنه اليوم حر كسائر الأحرار، ولم يبق له شيء من الرق، وقد أعتقه سيده لوجه الله تعالى

الكريم ولرسوله، وأما الشهداء ففلان وفلان على ترتيبهم، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ[٢٦].اهـ (كركي، ص٢٠٦)

وصف الشيخ عمر الله سبحانه بما وصف به ذاته القدسية، "عالم الغيب والشهادة"، وهو اقتباس من سورة الحشر، آية ٢٢، ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾.

والعبارة "خوف التبديل في طول الدهور"، اقتبسها الشيخ عمر من كلام الشيخ الامام العلامة الحافظ المفسر محمد ابن أحمد ابن جزيء الكلبي، في مقدمة كتابه التسهيل لعلوم التنزيل، إذ يقول:

'.....ويسر حفظه (أي القرآن) في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالى الاحقاب' (الكلبي، ١٩٩٥م، ص ٣).ونلاحظ انهم في إقتباسهم من القرآن الكريم ينقلون النص كاملاً بدون تغيير سوى بعض التغييرات، كقول

الشيخ عبد الصمد: '..... وأنه فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد'[٢٧]، مقتبسا من سورة الإخلاص. ويقول أيضا، '.....هو منتصف بصفات الكمال منتزع عن صفات النقصان، وأنه ليس كمثله شيء. ..... '[٢٨]. والجملة الأخيرة من سورة الشورى الآية ١١، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا. يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

ويقول: '.....وأنه أرسل رسوله محمد ابن عبد الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله'، إما أن الشيخ الصمد استلهم هذه الآية من سورة التوبة الآية ٣٣، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، أو من سورة الفتح حيث يقول الله جل وعلا: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وكذلك يصف الشيخ عبد الصمد الله كما وصف تفسه، ويقول: '....وأنه حي لا يموت ، وقيوم دائم لا يزول'، مقتبسا من سورة البقرة الآية ٢٥٥: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾، أو من سورة الفرقان الآية ٥٨، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾.

ولعلهم تبنوا هذا الأسلوب ليحرصوا على حفظ النص المنقول بالألفاظه وعباراته الأصلية.

غرابة وتنافر لغوي

وعلى الرغم من وجود بعض مظاهر الرقي اللغوي والجمال الأدبي في التراث العربي لعلماء غانا عامة، إلا ان بعضا منه يتصف بالتعقيدات والغرابة والتنافرات من جانب الألفاظ والصيغ مع التكلّف البديعي. لعل أصحابه نهجوا نهج الأدباء في عصر التقليد والجمود في تاريخ الأدب العربي، فبدت في أساليبهم الإسراف في المحاكاة والغلو في الصنعة، يستعملون الألفاظ والأساليب ذات البريق واللمعان. مثال ذلك ما كتبه الشيخ أحمد بابا الواعظ في مقدمة كتابه (سيف الحق على نحور الوهابيين)، يقول:

..... وعلى هذا، انتهلت من مجثمي انتهال الشهم، وانخرطت من صف المرشدين انخراط السهم، وجمعت هذا الكتاب وسميته – سيف الحق على نحور الوهابيين – ردا على المنكرين، مع رفع صوتي الصهصلق في اعتياص عتور هرج الماكرين، وتوشيته بإجمام قريحتي، وليس لي فكر مطيشة في ذلك، ولا أبالي بلوم اللائمين، ومن الله الواحد القهار الناصر أرجو ألا أرتبك في هذا التأليف، ولا أشتكي الصدى ما دمت مستمد الورى..... وأنا أبو الفوز الحاج أحمد بابه الواعظ ابن أحمد، الصكتوي أصلا، وكماسي مولدا، والمالكي مذهبا، والأشعري عقيدة، والتجاني طريقة (بابا الواعظ ٢٠٠٩م، ص ٣٢).

لم نجد في هذا النص رابطا عضويا محكما ولا تسلسلا منطقيا في بنائه من بداية إلى النهاية. إن هو إلا عبارات ساقها متتابعة متوالية الألفاظ والبناء اللفظي في تنسيق كلامي طبيعي للغة العربية، غير أن هذه الألفاظ تفتقد للمعاني المنسجمة مع بعضها بعض، حتى ولو استعملها مجازيا، كقوله: انتهلت من مجثمي انتهال الشهم. وكلمة "انتهل" يعني "شرب" أو "استفاد"، ولو قلنا أنه استفاد من مجثمه أي مقامه أو منزلته، وهل تعني المفعول المطلق "انتهال الشهم" استفادة العزيز أو الصبور؟ وقوله "انخرطت من..."، ينخرط شخص في...، ولا ينخرط من...وهكذا، مثلها مثل "اعتياص عتور هرج الماكرين"، و "توشيته بإجمام قريحتي" و"ليس لي فكر مطيشة في ذلك"، والكلمات "عتور" و"إجمام" و"مطيشة" و"الصهصلق" من ألفاظ التعقيدات والغرابة والتنافرات، ولم تستقم بها العبارات التي استخدمت فيها. لعل الكاتب يهدف مجرد التفنن بها، إلا أنه لم ينجح في ذلك إلا ما طرأ من السجع بين الجملتين الأولى والثانية.

ومن الملاحظ كذلك من قراءتنا لكتابات العلماء، جميعهم بلا استثناء، ولاسيما تلك التي تتعلق بالمناظرات، فمن الواضح من كلام كلا الطرفين التعصب الشديد لآرائهم، فيتمسك كل منهم بموقفه وكأنهم لم يبحثوا عن الحقيقة، بل يقوم بتجريم خصمه ووصف مَذهبه بالبطلان. والأسوء من ذلك لجوئهم لأسلوب الاستهزاء باستعمال الألفاظ الاستفزازية والسب والانتقاص. واللفظ الشائع والمتكرر في هذا الصدد هو "جهل ."

يصف الشيخ عبد الصمد أساليب علماء طريقة التجانية ويقول: '...عبارات المتصوفة وتحويلاتهم للقرآن الكريم التي تخالف الظاهر من النصوص ليس بتفسير، ولا يعتمد عليها إلا جاهل مغرور .'

وقد سبق أن ذكرنا أسلوب الشيخ الواعظ في هجومه على من وصفهم بـ'المنكرين'، باستخدام عبارات الانتقاص والاستخفاف كقوله: ..هؤلاء الجهال (بابا الواعظ ٢٠٠٩م، ص١٨٢) أيها الجاهلون...، ....يترجمون عما في نفوسهم من أمراض خبيثة وعلل دفينة...، (بابا الواعظ، ص٢٣١)...كمنكرين زمرة الشياطين... (بابا الواعظ، ص١٨٧) ، وغيرها.

ولا نستثني انخراط الشيخ مالم صوفو في هذه المسايقة السبابية، وكثير ما يصف ظنون أهل السنة والجماعة بعبارات كـ(....هذه...غاية الجهل وغاية الحمق، وغاية الغباوة....،) ويكمل عباراته بالاتي:

ومن هنا نقول بأعلى صوتنا، فليجلس المرأ على كرسيه، وليقذف كلمات الاستهزاء والازدراء من لسانه، وليصب جام غضبه على علماء الدين والأنبياء والمرسلين والأولياء من التجانيين والقادريين والشازليين، وليكرر الإنكار ثبوتا ونفيا، ويجلب آيات قرآنيات وأحاديث صباحا مساحا، ثم ليبشر بأن اسمه يكتب في ديوان الحكماء المفكرين والأساتذة المنحكين والعقلاء المجربين، والحال لا مدرسة ولا تعلم، بل يأتيه العلم هنيئا مريئا، فيكون بطلا وبالسماجة شجاعا وبالغباوة نابغة، فنقول له حينئذ هو وأتباعه الجهلاء فأف وتف لقوم لا يفقهون، صم بكم عمي فهم لا يبصرون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون ((صوفو، ١٩٨١، ص٨)

الخاتمة

كل من اطلع على كتابات علماء غانا واستقصى قدراتهم التأليفية واستكشف ما تضمنته مؤلفاتهم من خصائص فنية وثقافية، لا يسعه إلا أن يذهب إلى ما ذهب إليه النقاد من أنَّ قيمة الإنتاج الأدبي ترتكز على جودة لغة المنتج وبراعته التعبيرية، فاللغة المكوِّن الأساس الذي يمنح الأديب سر أدبيته المصورة للمعاني

المختلجة في نفسه. وإنّ المتصفح للنتاجات العربية الغانية بصفة عامة والكتابات النثرية بصفة خاصة يظهر له تباين قدرات مؤلفيها على استعمال اللغة العربية في التأليف على درجات متفاوتة طبقا لمستوياتهم التعليمية. كما يظهر له أن هذا التباين في تطابق المراحل التي مرت بها اللغة العربية في تطورها في البلاد، إذ كان مستواها ضعيفا بشكل بارز في طورها الأول وذلك في القرن الثامن عشر، ثم بدأ يعلو ويرتفي مستواها طورا بعد طور، إلى أن وصل القمة في الخمسينات من القرن العشرين إلى بداية القرن الواحد والعشرين.

ومن خلال دراستنا لجودة مؤلفات الكتّاب المسلمين الغانيين النثرية من حيث المستوى اللغوي والأدبي نرى بوضوح أن عوامل عدة تتحكم بجودتها الادبية منها: بيئة المؤلف وتجاربه الثقافية والأدبية، كما هو الحال في أي فن من فنون الأدب. ولا شك أن للموقع الجغرافي لدولة غانا وطبيعتها الأفريقية دورًا مهمّا في تكوين مهارات علمائها الأدبية، إذ يفصل بينها وبين الجزيرة العربية مسافات طويلة، كما أن دين الإسلام وصل إلى دولة غانا نتيجة الجهود المبذولة من قبل الشعوب غير العربية، أي شعبي من مالي ونيجيريا. ولذا لم تكن تجربة العلماء الغانيين باللغة العربية أول وصولها إليهم مع أهلها، وعلى الرغم من ذلك، فقد ساعد الإسلام على الاسراع من عجلة انتشار العربية في غانا، واستوعب أبناؤها كنوزها الأدبية فتأدبوا بها، وتدربوا على بناء مكونات تعبيرية من هذه الروافد الثقافية العربية، وذلك من خلال كثرة اطلاعهم وتعمق التدريبات على نماذج أدبية من أدباء العصرين الجاهلي والإسلامي، حتى اغتنت بها لغة نتاجاتهم الابداعية، وصقلوها باغنائها بمعاجم العربية الضخمة. ولكن تذوقهم للأدب العربي بقي – ولا زال باقيا – يتغذى عن بعد، وذلك من الروافد التي تقع مصادرها بعيد كل البعد عن بيئة الأديب الغاني الأفريقي. وهنا لم يجد اي بد من التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وهمومه الافريقية بلغة غير لغته والتي تعلمها من اجل تطبيق تعاليم دينه، والتعبد، والتخاطب الادبي. وقد اجهد العلماء انفسهم بتعلم العربية والكتابة بها فانتجوا مؤلفات نثرية بانت في جزء منها مقدرتهم الثقافية النثرية.

ومن بين النتائج التي يمكن أن يتوصل اليها أي باحث في التراث العربي الغاني هي الصبغة الدينية التي لونت كل صور ذلك التراث النقدي، ويرجع ذلك إلى نظام التعليم الذي مر به مؤلفوه. وقد ظل تأسيس المدارس الإسلامية وانتشارها في جمهورية غانا كما في بقية دول غرب أفريقيا للغرض الديني، إذ لانلمح تغيرا في هذا الاتجاه منذ نشأة التعليم العربي الاسلامي في القرن الخامس عشر

الميلادي. وهكذا ظل نظام التعليم العربي متسما بالطابع الديني، ومناهج اللغة العربية وآدابها محتفظة بأهدافها الدينية. فدراسة الكتب الأدبية لابن دريد وبردة البوصيري والعشرينات والدالية والمعلقات ومقامات الحريري من ضمن مقررات اللغة العربية ليس هدفها تدريب الطالب على التعبير عن الواقع بأساليب جمالية، أو ليتمرن على تصوير الطبيعة بما فيها من جبال وأنهار وسهول ووديان وظواهر جغرافية متنوعة بلغة أدبية فنية، أو يحكي بها عن الإنسان وما يختلج في نفسه من رغبات ومخاوف، وما يدور في عقله من خيالات وأفكار ومعرفة بهمومه وتطلعاته، وإنما يدرس الطالب الأدب كوسيلة ليتوسّع به على فهم القرآن الكريم وما يتضمنه من الدروس الدينية والأخلاقية، وفضلا عن ذلك، يدرس الطالب تلك كتب الأدب ليتمرن لسانه على النطق بالحروف العربية وكلماتها بأسلوب صحيح وبطريقة سهلة حتى يتقن به قراءة كتاب الله.

ومما زاد الأمر سوءا وتعقيدا ما أثبتته بعض الدراسات من أن محتوى المناهج الدراسية للمؤسسات التعليمية المشهورة في البلد يخلو من تحديد الأهداف التي وضعت المناهج لتحقيقها، وهذا من أسباب ضعف طلاب المدارس الأهلية الإسلامية بغانا في الأدب العربي، فضلا عن أن عيوب الطريقة المتبعة في تدريس اللغة العربية عامة، والأدب العربي خاصة، يقل فيها أسلوب لتشوق الطلاب إلى الأدب العربي لينهلوا من ينابيعه العذبة الفياضة بالسحر البياني في القديم والحديث[٢٩]. ولذا كان للظروف التعليمية التي عانى منها طالب اللغة العربية وآدابها في غانا – وما يزال يعاني منها حتى الآن – أثر كبير في ضعف التأليف الأدبي.

وليس بغريب أن نجد أن النثر الفني يكاد يكون معدوما في الأدب العربي الغاني القديم والمعاصر؛ ولا سيّما المعاصر منه مثل: القصة والرواية والمسرحية، إذ إن هذا اللون من النثر إنما يلائم نوعا من المستوى الرفيع للحياة الثقافية العربية، ولم يهيأ هذا الجانب من الحياة للطالب الغاني حتى الآن. ولعل السبب في عدم شيوع هذا اللون من الكتابة الفنية يرجع إلى ركود المسير العلمي والجمود في تطور المنهاج التعليمي العربي في غانا، وفشل ولاة الأمور في الارتقاء بمستوى التعليم العربي حتى يستجيب لدواعي التطور الثقافي المعاصر. و لعل جدية الحياة الدينية منذ ظهور فجر الإسلام حتى اليوم لم تسمح لعلماء الدين الانغماس في الحياة الترفيهية والدعوة إلى الاهتمام بالفنون والغناء. فبقي الناس متمسكين بنظام التعليم التقليدي، يدرسون المواد الأدبية بوصفه وسيلة للتعرف والتبحر في العلوم الدينية والشرعية كما أسلفنا. وظلت النصوص الأدبية مقتصرة على النواحي التربوية

والتعليمة. وأما النواحي الأدبية والفنية التطبيقية فقد ظلت معدومة. وظل النثر المدروس جامدا راكدا مثقلا خال من الإبداعات الفنية في عيون الطلاب.

وبعد الخلاصة والنتائج، يجدر بي الإشارة الى أمور مهمة التي تدفع بتلك الثقافة إلي الأمام وتقويها وتحافظ على هوية المجتمع الإسلامي الغاني. وهذه الأمور هي:

١. ضرورة تدريب كوادر من العلماء المتخصّصين النابغين في مجال الثقافة الإسلامية للتخطيط والإشراف على الثقافة الإسلامية ومناهج التعليم الإسلامي، لتأكيد على ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية النبيلة بين أفراد المجتمع الإسلامي، القيم والأخلاق التي أكدها الأجداد في كتاباتهم وآدابهم وحملوها إلينا لكي تكون المرشد لنا للمستقبل الذي نتطلع إليه.
٢. ينبغي إعادة النظر في محتوى المناهج الدراسية لمؤسساتنا التعليمية لتحديد أهدافها وتحديث طرائق تدريس اللغة العربية عامة، والأدب العربي خاصة، لتشمل تطبيقات في دراسة المواد الأدبية الحديثة.
٣. تدريب طلاب المدارس على الكتابات الانشائية وتعويد طلاب الجامعات على النشر خلال حقبة الماجستير والدكتوراه من رسائلهم العلمية.
٤. إيجاد الأسلوب المشوق في قراءة الأدب العربي القديم والحديث حتى تستمتع نفوس الطلبة بفنون شعرائه الجميلة، وتستفيد عقولهم من تجاربهم العظيمة وأفكارهم السامية، ويتعود الدارس تعبيراتهم البليغة، فيصبح هو أيضا قادرا على التعبير الجميل المؤثر.

الهوامش

[١] وبينما يعد انتاج البجوث العلمية ونشره من متطلبات التحضير في المؤسسات التعليمية العليا، وهو من ضمن وظيفة كل محاضر في الكليات والجامعات، يكتفي غيره من العلماء بالخطب والمحاضرات والوعظ في المناسبات الدينية والإجتماعية، والنشر عندهم ليس أمرا ملزما، لا علاقة له بقوته اليومية.

[٢] ومع افتتاح مرحلة الدراسات العليا بقسم اللغة العربية في جامعة غانا عام ٢٠١١م، - وهي الأولى من نوعها - بدأ الاهتمام بالبحوث العربية وتدوين رسائل الماجستير التي تعد بالعشرات.

[٣] لم أسع إلى تقسيم هذه المراحل إلى العصور الأدبية كما هو الحال في عصور الأدب العربي عند العرب، أو على غرار تقسيم العلماء النيجيريين وغيرهم لعصور الحركة العربية في نيجيريا، أو العصور الأدبية العربية الإفريقية، فاكتفيت بتقسيم المراحل حسب التواريخ الزمنية دون التعريفات أو المسميات إلا ما تطرقت إليه عند الشرح.

[٤] ذكر في ويلكس وهنويك وسي (٢٠٠٣م) أن محمد مصطفى كونادي كان إمام الجامعة لمدينة غبوبيي عام ١٧٤٥م، وسافر والده من أرض غنجا إلى بلد الحرمين لأداء فريضة الحج في عام ١٧٣٣م، وعاد إلى البلد عام ١٧٣٦م. وقد توفي جده مصطفى في مدينة ينتوتو، وهي مركز التعلم الإسلامي المشهور بالقرب من كاتسينا بنيجيريا وذلك حين عودته من الحج عام ١٧٣٢م.

[٥] من المخطوطات العربية الموجودة في معهد الدراسات الأفريقية بجامعة غانا، ليغون. وقد اختلف الأستاذ ويلكس وزميله ليفتذيون فيمن هو المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب، إلا أنهما اتفقا على أن الشيخ محمد بن مصطفى كان مسؤولا عن جمع النسخة المنقحة في حدود سنة ١٧٦٤م. وهي النسخة التي استمد مؤلفه أخباره من أعمال الكتّاب المشهورين مثل الشيخ عمر كونادي عمر وغيره، وانتهى الشيخ مصطفى في جمعه إلى أن قال: (يتعلق الأمر بما أحدثه الله منذ بداية دولة غنجا، في زمن نابا، والفقيه إسماعيل وابنه محمد الأبيض، وعن شؤون المسلمين والكفار وجميع ملوك غنجا إلى زمن ملك أبو بكر بن عثمان الملقب بلايو). ولسبب هذه الاختلافات حول تأليفه وجمعه لم نكثر الحذيث عن الكتاب.

[٦] المرجع نفسه.

[٧] أي متسول.
[٨] قد اعتمد نحيميا ليفتذيون على هذه الوثيقة لكتابة عن تاريخ المناطق الشمالية لغانا وانتشار الإسلام فيها في كتابه: Muslims and Chiefs in West Africa
[٩] صفحات المخطوطة غير مرقمة، فيصعب الارشاد إلى الصفحة التي نقل منها النص.
[١٠] لقب بـ"عمر كَرَكِي" نسبة إلى مدينة كِيتِي كِرَتْشِي غرب محافظة فُلْتَا بدولة غانا. ترعرع في أسرة مشتهرة بالعلم والمعرفة، وقد جمع عمر بين التعليم والتجارية. واستطاع أن يتعرف على محطات القوافل التجارية ومراكز التسويق، ومن بينها مدينة سَلَغَا بساحل الذهب آنذاك، واختارها عمر موطنا له ولإقامة أنشطته التعليمية والأدبية والدعوية، توفي الشيخ عمر عام ١٩٣٤م.
[١١] وطنه الأصلي بوركينا فاسو وعرف بكثير التنقل لطلب العلم من بلد إلى بلد آخر، إلا أنه ارتحل إلى غانا حيث عاش عدة سنوات واشتغل بالتأليف والتدريس. وقد توفي الشيخ مرحبا عام ١٩٧٤م بمدينة بوبو جولا سو مسقط رأسه.
[١٢] ولنماذج من أعماله راجع (استكشاف محتوى المخطوطات العربية اللغوية في الغرب الإفريقي: غانا والنيجير أنموزجا) رسالة الماجستير غير المنشورة للطالب آدم عبد الرحمن، شعبة اللغة العربية بجامعة غانا، و(تقديم الإمام الحاج محمد مرحبا) معهد الأبحاث في العلوم الإنسانية، قسم المخطوطات العربية والعجمية – النيجر، للباحث حسيني مومونى.
[١٣] ومع هذه الانجازات وازدهار لم تتجاوز كتاباتهم مجال الدين وموضوعات فقهية وعقائدية.
[١٤] ولد الشيخ الحاج يوسف صالح الملقب بـ" أَلْفَا أَجُورَا" في مدينة أَجُورَا، في إحدى مقاطعات إقليم أَشَنْتِي بغانا، وذلك عام ١٩٠٩م، وتلقى تعليمه في مدينة تَمَالِي بالإقليم الشمالي، وسافر إلى أكرا العاصمة، واستفاد بعلمائها ثم انتقل إلى دولة توغو، ومكث بها حتى نال من علمائها ما رزقهم الله به من العلم والمعرفة والعفة والورع، وكانت حياته حافلة بخدمة العلم والدعوة والسياسة، لذا كان يعتبر مرجعا هاما للشئون الدينية والاجتماعية في المناطق الشمالية، توفي الشيخ الحاج يوسف صالح أَجُورَا عام ٢٠٠٤م.
[١٥] ولد الشيخ جبريل مَالَم صُوفُو في مدينة سَلَغا بدولة غانا عام ١٩٢١م، تلقى تعليمه الأول على يد أبيه ، وختم القرآن الكريم ودرس بعض المتون في العلوم الشرعية المختلفة. وأرسله أبوه إلى مدينة سَلَغَا، حيث واصل دروسه واستمر في التنقل بين عالم والآخر حتى استقر في بلدة بُوكُو إحدى مدن الشرقية العليا، فصارت موطنا له إلى أن أصبح مرجعا لها وعمدتها في جميع أحوالها الشرعية، وبعد عمر دام ستاً وستين سنة وافاه الأجل المحتوم ليلة يوم الاثنين السادس عشر من نوفمبر سنة ١٩٨٧م.
[١٦] كان الشيخ أحمد بن أحمد الواعظ من أبناء الوافدين ومن مواليد مدينة كُمَاسِي في إقليم أَشَنْتِي عام ١٩١٣م. تفرغ الشيخ بَابَا للتعليم والوعظ والإرشادات والسياسة والحركات الوطنية، وكان من دعاة الوطنية ونضال المستعمرين، وكان الشيخ صوفيا زاهدا ومتمسكا بالطريقة التجانية، بل كان ركنا هاما فيها حتى وصفه الشيخ إبراهيم انياس مؤسس الطريقة بـ "لسان الفيضة وترجمانها".
[١٧] ولد الشيخ عبد الصمد في كُمَاسِي العاصمة الثقافية العربية في غانا، وذلك عام ١٩٢٦م. وقد وفقه الله بالذكاء والدراية واستفاد من عالم من علماء تمبكتو الشيخ محمد محمود الصواف خلال وجوده في غانا. وبدأ الشيخ يشارك في الدعوة إلى الحركة التجانية ونشر تعاليمها لمدة ثلاثين عاما. وفي عام ١٩٧٢م، انسحب الشيخ عبدالصمد علنا من عضوية الحركة التجانية وأعلن انضمامه إلى أهل السنة والجماعة، وله بضعة كتب في العقيدة المنشورة والمخطوطة، منها الكتاب "ما دعا إليه دين الله"، و"رسالة الداعي إلى السنة الزاجرة عن البدعة". توفي الشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار بمدينة كُمَاسِي عام ١٩٨٧م.
[١٨] تعد تأليفاتهم من أكثر الكتب شهرة وأوسع ترويجا بين الطلاب والقراء.
[١٩] ومن العلماء الذين توفرت لدينا رسائلهم محمد أول بابلي، وهارون محمد ومحمد باقو وأحمد بابا وهارون محمد التجاني، وكانت منشورة في الكتاب: "بشرى المحبين والمريدين في أقوال السادة والنتقين"، للشيخ الحاج عبد الودود سيسي، كوماسي، ٢٠٠٩م.
[٢٠] أنظر الكتاب "عمدة الإسلام وبستان العلماء والعارفين في تحسين الظن بالله" للمؤلف الشيخ مالم جبريل صوفو، والكتاب "رسالة الداعي إلى السنة الزاجرة عن البدعة"، للمؤلف الشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار، و"توضيح الأدلة لمن يروم دليلا على الطريقة التيجانية" للمؤلف الشيخ أحمد ابن أحمد بابا الواعظ، وغيرها من كتب تلك الفترة.
[٢١] ذكرناه آنفا، وهو ما زال مخطوط إلا أنه نظم على شكل كتاب محلي مع صفحة العنوان ومقدمة وصفحات مرقومة .
[٢٢] ورد في الكتاب الآية هكذا (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا....) بدون أن يكملها إلى النهاية.
[٢٣] لم يبدأ الكاتب الآية من بديتها بل ورد نهايتها هكذا: (.....نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)
[٢٤] انقطع النصف الأخير من الآية وورد النصف الأول فقط هكذا (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ....)

[٢٥] ورد في الكتاب الآية هكذا (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ .....) بدون تكملتها.
[٢٦] ذاك جزء من الآية، كاملها هي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة – الآية ٢٨٣.
[٢٧] الشيخ عبد الصمد حبيب الله المختار، ١٩٧٨م، ص ٧.
[٢٨] المرجع نفسه، ص ٧.
[٢٩] إسحاق أبوبكر (٢٠٠١م)، **مشكلة ضعف طلاب الثانويات الإسلامية فى الأدب العربي**، والكتاب من أبرز البحوث القيمة في التربية والتعليم في جمهورية غانا، وهو غير منشور.

المصادر والمراجع:

العربية

١. أحمد بابا الواعظ. موسوعة أحمد بابا الواعظ، الجزء الأول والثاني، جمعهما ابنه محمد البشير بابا الواعظ، كوماسي، ٢٠٠٩م.
٢. جبريل صوفو. عمدة الإسلام وبستان العلماء والعارفين في تحسين الظن بالله، مطبعة مدرسة نصر الدين الإسلامية، كوماسي، ١٩٨١م.
٣. عبد الصمد عبدالله محمد. الشعر العربي في غربي إفريقيا منذ الاستعمار (السنغال ونيجيريا)، رسالة الماجستير في الأدب، جامعة أم القرى، مكة مكرمة.
٤. عبد الودود سيسي. بشرى المحبين والمريدين في أقوال السادة والمتقين، كوماسي، ٢٠٠٩م.
٥. محمد إبراهيم. الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا، رسالة الدكتوراه في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠٤م.
٦. أبو الحسن محمد ابن يزيذ المبرد. الكامل في اللغة والأدب، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
٧. أبو عبيد البكري. كتاب المسالك والممالك، ج ١، حققه أدريان فان ليوفن، دار العربي للكتاب، بيروت (١٩٩٢م).
٨. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) لسان العرب، ج ٤، دار صادر، ٢٠٠٣م.
٩. أحمد أمين. موسوعة أحمد أمين الأدبية في أصول النقد ومبادئه.بيروت :دار الكتاب العربي ١ج
١٠. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت،
١١. أ□د الشايب. الأسلوب دراسة بلاغية □ليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة :مكتبة ا□صرية، ١٩٩٨م.
١٢. الإمام بن الحسين، كتاب الزهد والوصية، في القصائد العشريات، المكتبة الشعبية، بيروت، ١٩٤٨م.
١٣. الثقا□، عثمان عبد السلام . تاريخ الأدب العر□ □ مدينة إلورن من العصر الإسلامي إ□ ما بعد الاستقلال، لاغوس، مركز إبراز للنشر الإسلامي، ٢٠٠٧م.
١٤. الحسن إدريس إسماعيل. حياة الشيخ علي ابن محمد الكوماسي الكنوي وآثاره، طبعة دابينو بكانو، عام ٢٠٠٥م.
١٥. حسيني مومونى، تقويم الإمام الحاج محمد مرحبا، معهد الأبحاث في العلوم الإنسانية، قسم المخطوطات العربية والعجمية، النيجر ٢٠١١م.
١٦. الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن. كتاب ختم الأولياء، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
١٧. زاهر بن عوض الألمعي. مناهج الجدل في القرآن الكريم، دار الكتاب العربي، القاهرة.
١٨. شوقي ضيف. الفن ومذاهبه □ النثر العر□، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٩. الصادق بن محمد بن إبراهيم. خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، دار الكتب والنشر، مكة المكرمة، ١٩٨٣م.
٢٠. عبد الصمد حبيب الله المختار، رسالة الداعي إلى السنة الزاجرة عن البدعة، دار العربية، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م .
٢١. عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مصراته ٢٠١٠م.
٢٢. على حسن الفاعور. ديوان زهير ابن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٣. غلادنثي، شيخو أ□د سعيد. حركة اللغة العربية وآدابها □ نيج□يا، الرياض :شركة العيمان للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
٢٤. الإمام الحاج عمر بن إبي بن عثمان. السرحة الوريقة في علم الوثيقة، المكتبة الشعبية، البيروت – لبنان، ١٩٤٨م.
٢٥. لطيف أونيريتي إبراهيم. النثر العربي في نيجيريا نشأته وتطوره،

NATAIS Journal of the Nigeria Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies, Vol.6 No 3. Department of Islamic Studies, Bayero University, Kano. pp. 141 – 158

٢٦. محمد ابن أحمد ابن جزي الكلبي. التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٥م.

٢٧. مسلم محمد جودت اليوسف: غانا تتألم من أنياب التشيع، فهل من مجيب ؟ على الرابط

: http://www.saaid.net/Doat/moslem/57.htm?

الإنجليزية

1. Allman, Jean Marie. (1991). *Hewers of Wood, Carriers of Water*: *Islam, Class, and Politics on the Eve of Ghana's Independence*. African Studies Review, Vol. 34, No. 2. pp. 1-26. Cambridge: Cambridge University Press.
2. Aning K. & Abdallah M. (2013). Islamic Radicalisation and Violence in Ghana, in 'Militancy and Violence in West Africa: Religion, Politics and Radicalisation'. Routledge.
3. Boyle, Helen N., Seebaway, Z, Lansah, and Boukamhi. (2007). Islamic Education Sector Study: Ghana. Accra, Education Development Center, Northern Ghana Network for Development for USAID.
4. Braimah, J. A. & Goody, J. Salaga. (1968). The Struggle for Power. London. Longmans.
5. Charles C. Stewart. (1965). Unpublished thesis. The Tijaniya in Ghana: An Historical Study. Accra. Institute of African Studies, Univ. of Ghana, Legon.
6. Dumbe Y. (2013). Islamic Revivalism in Contemporary Ghana. Sodertorns Hogskola, Stockholm.
7. Dupuis, J. (1824). Journal of a residence in Ashantee. London. H. Colburn.
8. El-Wakkad & Wilks. (1961) Qissatu Salga Tarikhu Gonja: The story of Salaga and the History of Gonja. Ghana notes and queries. no. 3, Sept-Dec., pages 8-31.
9. Hiskett M. (1976). Commissioner of Police v. Musa Kommanda and Aspects of the Working of the Gold Coast Marriage of Mohammedans Ordinance, Journal of African Law, Vol. 20, No. 2, pp. 127-146.
10. Hodgkin, T. (1966). The Islamic Literary Traditon in Ghana, in Lewis (Ed.). Islam in Tropical Africa. London: Oxford University Press.
11. Ibraheem, L.O. (2003). Arabic Prose in Nigeria: Growth and Development. In NATAIS Journal of the Nigeria Association of Teachers of bic and Islamic Studies, Vol.6 No 3. Department of Islamic Studies, Bayero University, Kano. pp. 141 – 158.
12. Idriss Abdul Razak (1996). Alhaj Umar of Kete Krachi: A Muslim Leader, a Teacher, a Poet, and a Social Commentator of his time. Unpublished thesis, University of Ghana, Legon.
13. Iddrisu, Abdulai. (2005). The growth of Islamic Learning in Northern Ghana and Its Interaction with Western Secular Education, Africa Development XXX:1–2, 53–67.
14. Ivor Wilks. (1982). Wangara, Akan and Portuguese in the Fifteenth and Sixteenth Centuries. 1. The Matter of Bitu. The Journal of African History, Vol. 23, No. 3 (1982), pp. 333-349.
15. Jamil M. Abun-Nasr. (1965). The Tijaniyya: A Sufi Order in the Modern World. London: Oxford University Press.
16. John S Mbiti. (1991). Introduction to African religion. Heinemann Educational Books. Portsmouth, N.H.
17. Kobo, Ousman (2012). Unveiling Modernity in Twentieth-Century West African Islamic Reform. Brill: Leiden.

18. Levtzion, N. (1968). Muslims and Chiefs in West Africa: A Study of Islam in the Middle Volta Basin in the Pre-Colonial Period. Oxford: Clarendon Press.
19. Levtzion, N. (1978). Islam in West African Politics: Accommodation and Tension between the 'ulamā' and the Political Authorities. Cahiers d'Études Africaines, Vol. 18, Cahier 71.
20. Mohammed Hafiz. (2012). The Development of Arabic and Islamic Studies in Kumasi during the Twentieth Century: Challenges and Prospects. Unpublished PhD thesis. Asia Institute Faculty of Arts the University of Melbourne.
21. Palmer, H. R. ed. (1908). The Kano Chronicle. London: The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland.
22. Samwini N. (2006).The Muslim Resurgence in Ghana since 1950: Its Effects upon Muslims and Muslim-Christian. NJ: Transaction Publishers.
23. Schildkrout, E. (1977). People of Zongo. London: Cambridge Univ. Press.
24. Weiss, Holger. (2008). Between Accommodation and Revivalism : Muslims, the State, and Society in Ghana from the Pre-colonial to the Postcolonial Era. Helsinki: Finnish Oriental Society.
25. Wilks, I. 1964. The Growth of Islamic Learning in Ghana. Ibadan. Journal of the Historical Society of Nigeria.
26. Wilks, Ivor. (1966). The Position of Muslims in Metropolitan Ashanti in the Early Nineteenth Century, in I.M. Lewis (ed.), Islam in Tropical Africa. London: Oxford University Press, p.318-41.
27. Wilks, Levtzion, and Haight. (1986). Chronicles from Gonja. London:

Development of Arabic Literary Prose in Modern Ghana: A Critical Study in the Writings of the Local Scholars.

Dr. Abass Umar Mohammed
Arabic Section, Dept. of Modern Languages
aumohammed@ug.edu.gh

Abstract:

Arabic Prose writings of the Ghanaian Muslim scholars serve as an important medium of their artistic expressions. It is an art they inherited from ancestors, nurtured it and used, though limply, to address social and religious issues. This study therefore examined the historical development of Prose writing and the changing faces of authorship by Ghanaian Muslim Scholars in modern Ghana. The objectives were to examine this literary writings and evaluate their intellectual and artistic worth. The study adopted the historical and descriptive approach to trace the development of Prose writing in Ghana, and to evaluate the famous works of the leading scholars, and analyze them to establish their intellectual and artistic growth.

Key words: Literary Prose, Ghanaian Muslim scholars, Arabic authorship, Islam, West Africa